مضاعفة العمل



لئن كان العمل الصالح الذي يؤديه العبد في باقي الشهور يجازى بعشرٍ من مثله، فهو اليوم – في رمضان – يجازى بأضعافِ أضعافِ هذا العدد!! وها نحن نستمع إلى رسول الله (ص) إذ يقول في خطبته الشريفة:

"أيّها النّاس مَن حسّنَ منكم في هذا الشهر خُلُقَهُ كان له جوازاً على الصّراط يوم تَزِلّ فيه الأقدام. ومَن خفّفَ فيه منكم عمّا مَلَكَتْ يَمينهُ خفّفَ الله عليه حسابه. ومَن كفّ فيه شرّه كفّ الله غضبه عنه يوم يلقاهُ. ومن أكرم فيه يتيماً، أكرمه الله يوم يلقاهُ. ومَن تطوّعَ فيه بصلاةٍ كتب الله له براءةً من النار. ومَن أدّى فيه فرضاً، كان له ثواب مَن أدّى سبعين فريضةً فيما سِواهُ من الشهور. ومَن أكثر فيه من الصلاة عليّ، ثقّلَ الله ميزانَهُ يوم تَخِفّ الموازين. ومَن تلا فيه آيةً من القرآن، كان له أجرُ مَن ختم القرآن في غيره من الشهور".

كما أنّ النصوص تعتبر الصائم في الحرّ مجاهداً أفضل الجهاد، وانّه – أي الصائم – في جُنّةٍ من النار، وهذا المعنى، لو دققنا في أبعاده لوجدناه أروع بشارة تعدل ما طلعت عليه الشمس.

من كلّ هذا الذي مرّ من وصف عظمةٍ، ووعدٍ على ثواب جزيل، ونِعَم كريمة، وتأكيدٍ على الترابط العَرَضي بين أبناء البشر جميعاً في دخولهم المجموعي إلى دورة رمضان التدريبية، والترابط الطولي بين الأُمم المؤمنة جميعاً في مجال أداء فريضة الصوم... هادفين إلى هدف واحد.

إنّ الصوم ضرورة... ضرورة يفرضها واقع الإنسان، ويتطلبها هدف الشوط الذي انتدب إليه وجعل فيه خليفة للمبدأ الكامل.

فدورة رمضان المبارك تستوعب كلّ البشرية. تُعتمد أوّل ما تعتمد على عنصر الدافع القربي، كمقياس يراد له أن يشكل روحاً لكلّ شيء في حياة الإنسان، فلا رقيب إذن إلا العقيدة والضمير الديني.

تستمد الدورة الإلهية مبرراتها من نظرة محيطة شاملة، مدركة لكلّ احتياجات الإنسان، تفرض ضرورة

الصوم للحياة.

وأخيراً وهو الأهم انّ هذه الدورة التدريبية (دورة رمضان) العظمى تختلف في هدفها عن كلّ الأهداف التربوية المشاهدة. انها تهدف لأن تبني الإنسان الإنسان، الإنسان الصالح الذي يأخذ في حسابه صالح الإنسانية كلّ الإنسانية بكلّ قطاعاتها وخلال كلّ أزمنتها، وما أعظم ذلك من هدف تذوي أمامه الأهداف مهما تعالت.

إنّ كلّ تلك الإيحاءات لو تجسّدت حساً إيجابياً في وجدان الإنسان المسلم الصائم، لخلقت جواً مفعماً بالخشوع والخضوع والتسبيح والجلال... ليقوم الصوم من خلال ذلك بأداء مهمته العظمى في حياة الإنسان.